كيف يستخدم اليهود السلطة؟
«اعترافات شاهد عيان»

يتزايد الاهتمام العام بالمسألة اليهودية، وتجذب نمطًا أعلى من العقليات لمناقشة أهميتها ودلالتها. وعندما بدأت «ديربورن إندبندنت» نشر بعض نتائج بحثها فى المسألة، كانت الاستجابة الأولية، إلى حد كبير، من أولئك الذين كانوا يكرهون اليهود لمجرد أنهم يهود. وكانت هذه الفئة تتوقع أن تجد «ديربورن إندبندنت» ناطقة بلسان سخريتهم الخشنة وتعدياتهم.

إن الأسلوب الذى اتبعته هذه الصحيفة مع ذلك لم يكن اعتسافيًا أو بذيئًا، ولا مريرًا بما يكفى لإرضاء مهاجمى وكارهى اليهود، وتدريجيًا بدأت فى الاستجابة فئة أخرى، وبلغت حجمًا كبيرًا. أما الفئة الأفضل من الناس، فلدى إدراكهم أن التحامل والتحيز العرقى والدينى لا دور له فى لب الموضوع، بدءوا فى التفكير فى المسألة فيما يتعلق بحياتنا الأمريكية ومستقبل هذه الأمة كشعب مسيحى.

مع تصاعد النقاش إلى مستواه اللائق، بدأت دوريات أكبر وأفضل تبدى اهتمامها بالموضوع، وقد تمت الإشارة إلى ما نشرته تلك الدوريات فى فصول أخرى من الكتاب، ويضاف إلى القائمة «مجلة سينشرى» فى عدد سبتمبر الذى يحتوى مقالاً كتبه باقتدار وإنصاف، هربرت آدامز جيبونز رغم اختلاف الرأى الوارد حول بعض أحكام المؤلف. ويورد مستر جيبونز بعض الأمور بوضوح أكثر مما جاء خارج صفحات «ديربورن إندبندنت» ويورد بعض الأمور بوضوح يجد لدى القارئ غير المتحامل ما يبرره.

خرجت إحدى أبرز دراسات المسألة اليهودية من جامعة الجنوب فى سيوانى فى تينيسى، وعنوانها «الصهيونية والمشكلة اليهودية»، والمؤلف الدكتور چون ب. پيترز الكاهن الموقر السابق فى مقر كاتدرائية القديس چون فى مرتفعات مورنينج ساید فى نيويورك، والمدير الفخرى فى كنيسة سانت مايكل، وپروفيسور آداب ولغات العهد الجديد فى جامعة الجنوب. وقد أعيد طبع هذه الدراسة نقلاً عن «سيوانى ريڤيو» فى كراسة من ٢٩ صفحة.

يبدأ الدكتور پيترز بوصف تاريخى لتطور أسلوبين فى التفكير بين اليهود: القومى للخاصة، والدينى للعامة، ويصف هيمنة أسلوب التفكير الدينى مع مجيء الصهيونية الحديثة، ويجد أنه عنصرى عرقى وليس دينيّا. ويقول: «إن هيمنة وسيطرة الحزب أو الجماعة الصهيونية حاليّا فى أيدى اليهود العنصريين وليس المتدينين»، **ويرى أن تطور الوعى العرقى بين الأسلوبين «فى النهاية يجعل اليهود مواطنين سيئين فى الولايات المتحدة أو فى أى بلد آخر ويزيدون من العداء لليهود..»**.

وتعيد «ديربورن إندپندنت» نشر المقالة من صفحة ٢٠ حتى النهاية بتصريح خاص، وتم اختيار هذا الجزء؛ لأنه يتناول شهادة الدكتور پيترز كشاهد عيان لأحوال معينة فى فلسطين:

«الآن تبدأ ممارسة تجربة الوطن الصهيونى. ومن المبكر تحديد كيف سينجح بشكل كامل، ولكن على الأقل يكون مهمّا التأمل والتفكير فى التجليات. يعود احتكاكى المبكر مع الصهيونية والتأثير الصهيونى فى فلسطين إلى ١٩٢٠م، وعندما زرت فلسطين لأول مرة فى ١٨٩٠م كان اليهود فى القدس، على وجه الحصر، عائلات من اليهود الشرقيين «السفارديم»، وكانت القدس، حينذاك لا تزال القدس القديمة داخل الأسوار، أو المحوّطة بأسرار، ولم تكن هناك بيوت خارج الأسوار. وكان الاستعمار اليهودى بسماته الاقتصادية والإنسانية قد بدأ لتوّه فى سهل شارون، فى محاولة لتعويض اليهود

المضطهدين فى روسيا بالأرض، رغم أنهم غير معتادين على العمل اليدوى وخصوصًا العمل فى المزارع، وكان الواحد منهم يجلس تحت مظلة ليحمى نفسه من الشمس ويستأجر شاميين من السكان الوطنيين أبناء البلد ليقوموا بالعمل.

فى زيارتى التالية، فى ١٩٠٢م، أنشئ مزيد من المستعمرات، وبُذل مجهود كبير لتحويل المستعمرين اليهود إلى زراعيين. إلا أن غالبية اليهود الذين جاءوا إلى فلسطين استقروا حول القدس القديمة أو قربها، وكانت القدس الجديدة خارج الأسوار أكبر، فى المساحة على الأقل من القدس القديمة داخل الأسوار. وأنشأ الاتحاد الإسرائيلى مدارس رائعة لتعليم الزراعة والفنون اليدوية والصناعية. وطلبت منى الإدارة على عجل زيارة هذه المدارس والتفتيش عليها. ووجدت يهودًا ومسيحيين ومسلمين جنبًا إلى جنب دون أى تحيز أو تحامل. وكان هذا، فى رأيى، أفضل عمل من أى نوع تم فى فلسطين، لسببين: أولاً هذه المدارس كانت تعلّم قيمة وشرف العمل اليدوى الذى كان يحتقره أبناء الشرق بكل أنواعهم حتى ذلك الحين، ويعتبرونه تافهًا وغير جدير بأى رجل يتمتع بذكاء وكفاءة وقدرات عقلية، وثانيًا بسبب جمع المسلمين والمسيحيين واليهود فى مستوى عمل مشترك، وقيمة وكفاءة مشتركة، وهو أكثر العوامل قيمة لتحطيم الأحقاد والتحيزات القديمة دينية وعرقية واجتماعية، التى كانت لعنة ومصدر هلاك الأرض.

طُلب منى أن أسجل هذا كتابة لأنه، كما أخبرونى، كان هناك ضغط كبير يمارس، ويؤسفنى أن أقول ذلك، خصوصًا من أمريكا لمنع الإدارة من الاستمرار فى تدريس اليهود والمسيحيين والمسلمين على مستوى واحد، وكان الطلب ألا يحتك اليهود ويتصلوا بالمسيحيين والمسلمين... وهكذا، وأن يكون التدريب لليهود فقط، وحتى لا يصابوا بعدوى أو تلوث من الآخرين، إذا جاز التعبير، وحتى لا يكون الآخرون على درجة استعداد لمنافستهم فى ملكية الأرض. وقد وجدت هذه الروح بشكل أكثر تنظيمًا وعدوانية فى آخر زياراتى عامى ١٩١٩م و١٩٢٠م.

وجدت تقدمًا هائلاً فى تطور المستعمرات الزراعية. كانت لا تزال هناك صعوبات فى استمالة اليهود، باستثناء ذوى الأصول الأفريقية والعربية، للعمل الفعلى فى المستعمرة، لكن المستعمرات كانت تزدهر، وتقدمت زراعة الفواكه والعنب، وخاصة صناعة النبيذ وبعض الكحوليات على مستوى علمى كبير، وكان تقدمًا رائعًا. وكان البلد ككل يستفيد من المستعمرات. كان معظم اليهود يتجمعون فى القدس حتى الآن، وكان هناك مثقفون من ناحية وفقراء طفيليون من ناحية أخرى، وهو ما يمكن اعتباره بشكل عادى الأفضل جدًا والأسوأ جدًا. وكانت الحياة فى المستعمرات فى الغالب حلوة ولذيذة وجميلة، مكانًا مأمونًا وصحيًا وحياة عائلية عادية، وربما السلام والرخاء للديانة اليهودية فى أفضل حالاتها.

ووجدت فى القدس أقصى درجات تطرف الأرثوذكسية أو استقامة الرأى والمعتقد القويم التقليدى الضيق والمرير، هنا أيضًا ظهرت الصهيونية بموقف الغرور المستكبر والعدوانية. البلد كان لليهود، تنتمى إليهم وقريبًا يستحوذون عليها ويتملكونها. **وكان المرء يشعر أن حضوره أو وجوده مرفوض ومعترض عليه. وكانت الصحافة العبرية تحتوى على نقد سافر عنيف وغضب ضد وجود المدارس والإرساليات المسيحية. تلك المواقف التى اتخذها الصهاينة نبهت إلى الخطر ودقت جرس الإنذار فى البداية، ثم أثارت وضايقت كثيرًا السكان الأصليين أبناء البلد مسيحيين ومسلمين، مما جعل اليهودى محل كراهية وبغض بشكل لم يسبق له مثيل.** وأتيحت لى فرص للتحدث وديًا وحميمًا مع قادة فى كل المعسكرات، ولو أنى كنت غير قادر، من خلال صعوبات لغوية، للتواصل والاتصال بالجنود العاديين ممن يمثلون القاعدة، بالحرية التى كنت أودها. وشعرت بنفسى بالمضايقة، وفى بعض الأماكن بالخطر الذى أثاره الحقد والعداء. وتحت النظام الحكومى لم يكن مسموحًا لى بزيارة أجزاء معينة من البلد؛ بسبب الثورات والاضطرابات والغارات التى كان يشنها العرب، والتى كانت ترجع جزئيًا إلى عدائهم الذى أثاره إدراكهم للغزو اليهودى، وجزئيًا لأعمال اللصوصية وقطع

الطرق التى انتهزت الفرصة. وفى أجزاء أخرى من البلد كان من الصعب التنقل؛ لأن أى غريب ما لم يستطع إثبات العكس، كان محل شك فى أن يكون عميلاً للصهاينة يتجسس ويستكشف أراضى لكى يستولى عليها اليهود. كان من الصعب الحصول على مكان للإقامة أو طعام، وكان هناك أحيانًا مظاهرات عدائية بسبب هذه الشكوك. وكان الاعتقاد السائد فى كل مكان أن اليهودى يسعى بأساليب جائرة ومخادعة لطرد وإخراج المُلاك الحقيقيين ويستولى على أرضهم.

وكان مؤكدًا فى القدس أن الاعتمادات المالية والصناديق الصهيونية، أو اليهودية التى يستطيع الصهاينة السيطرة عليها، كانت تستخدم للرشوة أو تقديم العون للحرفيين أو التجار اليهود لعرض أثمان أقل من منافسيهم المسيحيين أو المسلمين، وهكذا يحلون محلهم بمنافسة غير شريفة، وكانت تستخدم تلك الوسيلة نفسها لنيل أو اكتساب أراض أو حقوق وسندات ملكية لأراض. **وكان يُعتقد بين كثيرين أن السلطات الإنجليزية تعطف وتحابى بإفراط وتقدم العون لليهود فى محاولاتهم ومساعيهم تلك، كما هو موضح فى رسالة من مسيحى فى يافا نشرتها «أتلانتيك مانثلى»:**

«نحن نشعر أن لدينا حكومة داخل الحكومة. المسئولون أو الضباط البريطانيون لا يستطيعون الوقوف إلى جانب الحق؛ لأنهم يخشون تجريدهم من وظائفهم ومراكزهم أو خوفًا من التوبيخ».

منذ أزمنة سحيقة واليهود فى أنحاء العالم يساهمون فى مساعدة رجال الدين اليهود فى القدس والمدن المقدسة الأخرى، مثل الخليل وطبرية وصفد، وكان اليهود يكسبون مقابل الإعانات فى تلك المدن ميزة أو استحقاقًا لأنفسهم ولمن يساهمون فى إعانتهم بدراسة القانون والابتهالات الدينية والصلوات والطقوس والشعائر الدينية. وكان القديس بولس يمارس نفس الأسلوب فى الكنيسة المسيحية، يأمر بجمع الصدقات من مختلف الأبرشيات وجموع المصلين

ويحولها إلى القدس ليستفيد منها المسيحيون الذين يعيشون هناك دعمًا لهم. وحتى اليوم يحدث هذا فى الكنائس الرومانية الكاثوليكية، حيث يتم تجميع الصدقات السنوية من مختلف أنحاء العالم وترسل إلى الفرنسيسكان لنفس الاستخدام فى القدس. ولدى اليونانيين والأرمن تقاليد مشابهة. لم يكن هناك فى الماضى أحقاد أو تحامل فيما يتعلق بتلك الصدقات أو الإعانات، لكن الآن، كما يُدَّعى، تستخدم اللجان الصهيونية الأموال التى تم جمعها أو المساهمة بها لتنظيم ومساعدة اليهود فى محاولة منظمة لتنتصر وتفوز بالأرض.

وقد يكون من الممكن توضيح موقف المتطرفين الذين كانوا يملكون القوة المسيطرة فى المجتمع بأفضل ما يمكن من خلال كلام لإحدى الجرائد الناطقة بلسانهم ومكتوبة باللغة العبرية. **(وينبغى بيان أن الطبعة الإنجليزية لهذه الجريدة كانت، وتلك قاعدة، مختلفة تمامًا فى المحتوى والمضمون عن الطبعة العبرية)**. وفى موضوع عنوانه «**جذام خبيث**» هو عبارة عن اتهام وتحذير للآباء والأمهات الذين يسمحون لأطفالهم بالذهاب إلى أى مدارس غير تلك الخاضعة لسيطرة اليهود، والتى تعمل وفق مطالب اللجنة الصهيونية المحلية. وكان يلفت نظر الآباء والأمهات إلى أن قائمة أعدتها اللجنة الصهيونية تحتوى على أسماء كل الأطفال الذين يذهبون إلى مدارس أجنبية، حتى إذا لم تكن خاضعة لأى تدريس دينى، وكانوا يبلغون بأن أطفالهم سوف يُسحبون من تلك المدارس ويُنقلون إلى مدارس يتعلمون فيها اللغة العبرية والتقاليد والعادات؛ كى ينفصلوا عن تلوث الأغيار وأساليبهم وتقاليدهم المختلفة، وجاء أمر بسحب من يعمل فى تلك المدارس الأجنبية، أو التى لا تتماشى مع الشروط التى وضعتها هذه اللجنة وتجريدهم من وظائفهم. **و«الجذام الخبيث» هو التلوث الذى يأتى من العالم الخارجى، والذى ينتج عن عملية التعليم مع «الأغيار»، أى المسيحيين والمسلمين.** وجاء اعتراف فى هذه المقالة، كرد على بعض الاحتجاجات، بأن الفرص فى بعض المدارس غير اليهودية أفضل من المدارس اليهودية، فمثلاً فى تعليم اللغات الأجنبية المهمة فى تصريف الأعمال والتجارة وتأمين الوظائف، وأن

هناك كدًا واجتهادًا أكبر فى التعليم، وساعات أطول واهتمامًا وعناية أفضل بالطلاب. ورغم ذلك، أحيط أولياء الأمور علمًا بأنهم ينبغى أن يضحوا من أجل جنسهم بتلك الفرص المتاحة لأطفالهم، وأن يبذلوا كل ما فى وسعهم فى الوقت نفسه لرفع مستوى مدارسهم، أما أولئك الذين يفشلون فى التعايش مع هذه الأفكار والمفاهيم والغايات فكانوا يلقبون بـ «الخونة» وألقاب مخزية أخرى، وتنتهى المقالة بمضايقة واضطهاد أى شخص لا يطيع اللجنة الصهيونية، والتهديد الذى يحذر:

فليعلم على الأقل أنه سوف يحرم من أن يناديه الآخرون بكلمة يهودى، ولن يشارك فى إرث مع إخوانه، وإذا لم ينصلح بعد فترة من الزمن فليعلم أننا سنحاربه بكل الطرق القانونية التى تحت تصرفنا. أولئك سوف توضع أسماؤهم فى نصب تذكارى للخزى والعار حتى يكون هناك لوم وتأنيب للأبد، وسوف تدوّن أفعالهم حتى آخر جيل. وإذا كانت هناك مساعدات تقدم لهم فسوف تتوقف، وإذا كانوا تجارًا فسوف يطلق عليهم الرصاص بضغطة من إصبع، وإذا كانوا حاخامات فسوف يبعدون من مكاتبهم، وسوف يتعرضون للاضطهاد والمضايقة مع هذا الحظر والتحريم، وسوف يعلم الناس فى كل أنحاء العالم أنه لا رحمة فى الأحكام والقرارات القضائية.

وبعد حوالى شهر تبع هذا مقال ثان، بالعبرية أيضًا، وعنوانه «حارب وانتصر» وجاء فيه إعلان أن التهديد بالمضايقة والاضطهاد سيبدأ تنفيذه:

إن أسماء الآباء والأمهات الخونة والأولاد والبنات الذين لم ينتبهوا للتحذيرات ينبغى نشرها فى الحال ودون تأخير فى الصحف وقوائم الإعلانات العامة، وتوضع فى مدخل كل شارع. ويجب إرسال هذه الأسماء إلى رؤساء كل المؤسسات والمعاهد والمسئولين عن المعابد والمستشفيات، وإلى المسئولين عن إتمام الزيجات، وإلى مدراء صندوق الإعانة الأمريكى اليهودى، وهلم جرا.ويجب أن يكون العنوان «القائمة السوداء»، و«الخونة الذين خانوا شعبهم». أمرًا للجميع: إذا كان أحد هؤلاء

الرجال له ابن فإنه يحرم من الختان، وفى حالة الوفاة لا تدفن جثته مع الإسرائيليين، ولن يكون هناك تصديق على الزيجات الدينية، ولن يزوره أطباء يهود، وسيحرم من الإعانة فى حالة احتياجه لها، باختصار، سوف نطردهم ونطاردهم حتى تتم إبادتهم سوف يصيح فيهم الرجال:«ابعدوا عن الطريق أيها القذرون الأنجاس» ولأن مثل هؤلاء الناس سوف يعتبرون مرتدين أشراراً وخوارج خبيثين، ولا يمكن أن تكون هناك علاقة بينهم وبيننا.ومرة أخرى، فإن مجتمع الشباب فى القدس يجب أن يقبل مبدأ طرد كل من يلتحق أو يزور المدارس المشار إليها من تجمعاتهم، والإشارة له بإصبع الاحتقار، وجعلهم يرون بأعينهم أنهم أصبحوا خارج المعسكر، هؤلاء الخونة من الأولاد والبنات يجب أن يفهموا بأنفسهم أنهم أشرار آثمون ارتكبوا خطايا وتجاوزات وانتهاكات، مطرودون ومعزولون عن المجتمع، وعن كل تجمعات يهودية؛ لأنهم جرءوا يومًا على الاستخفاف بإسرائيل وقدسيتها، وسوف يمنع جميع أبناء إسرائيل من الاقتراب منهم.. إنها حرب ضد الخونة بين صفوف شعبنا ، حرب بكل الوسائل القانونية، حرب دون شفقة أو رحمة حتى يعلم الخونة أنهم يجب ألا يتلاعبوا بعواطف الناس. حارب وانتصر.

وصدر بعد ذلك من اللجنة الصهيونية، وكان أحد أعضائها أمريكيّا، إعلان مطبوع يقول إن زمن الرحمة والشفقة قد انتهى، وأنه على الفور سوف توضع أسماء أولئك الذين لا يزالون على عنادهم فى إعلانات على نواصى الشوارع، وسوف تبدأ المقاطعة.

ميس لاندو اليهودية الورعة ومديرة أفضل مدرسة يهودية ثانوية للبنات فى المدينة، مدرسة إيفا روتشيلد وهى واحدة من المدارس التى وقع طلابها ومدرسوها تحت ذلك التهديد بزعم أنهم لم يتبعوا الأوامر التى تملى عليهم تحت هذه الأحكام من قبل اللجنة الصهيونية. ميس لاندو تقدمت بالتماس للسلطات المدنية. واضطر ممثلو اللجنة إلى الذهاب إلى قاعة المحكمة وصدر قرار بحظر المقاطعة.

مع مثل هذا الموقف من جانب القادة الصهاينة فى القدس قد يكون متوقعًا أن العنف سوف ينشأ نتيجة لذلك. ومعلوم أن عيد الفصح وقت قلق واضطرابات وإثارة وهياج فى القدس للمسيحيين واليهود والمسلمين على السواء، إذ يتزامن عيد الفصح مع عيد الفصح اليهودى الذى يحتفل بخروج اليهود من مصر ويستمر نحو سبعة أيام، ومناسبة دينية إسلامية يتجمع المسلمون من أنحاء فلسطين خلالها ليسمعوا مواعظ وخطبًا فى الحرم القدسى الشريف، ثم يسيرون إلى ما يعتقدونه مقبرة موسى قرب البحر الميت. كانت الإثارة الدينية لذلك الموسم تنفس عن نفسها فى لعنات كل منهم للآخر، مليئة باحتمالات حدوث انفجارات جسمانية إذا ما احتك أى منهم بالآخر. كان الأتراك يعزلون بحكمة فى ذلك الوقت كل ديانة فى المكان أو الحى الخاص بها. ورغم التحذيرات والطلبات من قادة المسلمين الدينيين، فشل الإنجليز فى حفظ الأمن، سواء من خلال الثقة المفرطة فى السلام الأنجليزى أو بسبب اعتراضات من ممثلى اليهود على تطبيق مثل هذا العزل والفصل والتمييز العنصرى عليهم، وكان بعض المتهورين من بين اليهود والمسلمين قد بدءوا قبل بضعة أيام إثارة نار الفتنة والاضطرابات، وظهرت عصابات مدربة فى حى اليهود تستعد للصراع. وفى صباح عيد الفصح عام ١٩٢٠م وصل متطرفون مسلمون من الخليل إلى بوابة يافا برياتهم المقدسة وهم ينشدون أناشيد خاصة بهم تعبر عن التطرف الدينى، واليهود واقفون هناك ينتظرون للترحيب بهم. وكان جميع الجنود والضباط البريطانيون فى الكنيسة. ولم يكن واضحًا من الذى كانت إساءاته وإهاناته أسوأ، ولا من الذى وجه الضربة الأولى، إذ بدأ الاشتباك فى القتال سريعًا، وكان اليهود أفضل تسليحًا ومعهم بنادق فى مواجهة أسلحة بيضاء فى أيدى المسلمين الذين كانوا مقاتلين أفضل، وسرعان ما أصبحت المدينة داخل الأسوار فى أياديهم وتحت سيطرتهم، وكان اليهود الذين يعيشون فيها من عائلات السفارديم القديمة الذين يسكنون أحياء فقيرة ومزدحمة ولا يتعاطفون مع الصهيونية، يعيشون فى سلام وغير مستعدين أبدًا

لمثل هذا الموقف، وصب المسلمون جام غضبهم على هؤلاء التعساء البائسين. ورأيت أمام عينى معسكرًا للمسلمين يُحرق ويُسلب ويفر سكانه طلبًا للنجاة والبنادق تطلق النار عليهم من الحى اليهودى. قُتل رجلان، وعندما وصلت القوات إلى الموقع كان العدد الضخم من المتمردين ومثيرى الشغب الذين ألقى القبض عليهم من اليهود، وبدا أن الإجراءات القضائية التالية تضع المسئولية الكبرى للتمرد عليهم، وكانت الأحكام الرئيسية الصادرة مقسمة بالتساوى بين اليهود والمسلمين، ولكن من صدرت بحقهم أحكام مخففة كانت غالبيتهم من اليهود. وعشنا أسبوعًا فى حالة حصار، غير مسموح لنا بالخروج أو الدخول من بوابات المدينة، أو الظهور على أسطح البيوت، أو فى الشرفات بعد غروب الشمس. وظل هناك حراس عند كل منحنى، ومُنعت التجمعات وكان هناك خطر مستمر بنشوب تمرد جديد.

وكان لتعيين سير هربرت صامويل، اليهودى، حاكمًا للمحمية الجديدة تحت الانتداب الصهيونى أثر فى زيادة حالة الهياج، وفى مدن مسلمة مثل نابلس كان يقال بصراحة فى وجودى إنه لا يمكن أن يدخل يهودى هذا المكان ويعيش فيه. أما المسيحيون الذين لم يشاركوا فى أعمال الشغب والتمرد فكانوا من غير استثناء متعاطفين مع المسلمين، وشاهد المرء المشهد الرائع المثير للدهشة لتعانق الصليب والهلال فى قضية مشتركة. وكانت هناك تكهنات بأنه إذا ما جاء سير هربرت حاكمًا فإنه لن يدخل القدس أبدًا حيًا. وفى واقع الأمر، فقد نزل فى يافا وجاء إلى القدس تحت حراسة مشددة ومدافع آلية أمامه وخلفه، وقام بزيارة فى الأسبوع التالى إلى نابلس وحيفا بنفس الأسلوب. كان ذلك هو الموقف عندما غادرت فلسطين. وجاء إعلان سير هربرت الذى أصدره فى ذلك الوقت وشرحه وتفسيره للانتداب، وكان الضباط والمسئولون الإنجليز بغير استثناء تقريبًا ضد «الانتداب الصهيونى»، وكانت عباراتهم فى حالات عديدة واضحة ومحددة. وسعى بعض أبرزهم وأفضلهم تدريبًا للانتقال إلى وظائف أخرى بسبب مشاعرهم تجاه الموضوع، وحتى اضطر بعضهم لتقديم الاستقالات.

من السابق للأوان الحكم على مستقبل التجربة الصهيونية فى فلسطين، وإذا منحت السلطات الإنجليزية فرصة للعب النظيف للجميع، وإذا تابع اليهود السياسات القديمة للتحالف الإسرائيلى ومدارسه وسعوا للاستفادة من كل سكان الأرض على حد سواء بهدف تدمير الأحقاد الدينية والعرقية والاجتماعية وليس بهدف بنائها، عندها قد يتغلب اليهود على أحقادهم وتحيزاتهم الحالية، وقد يثبت أن غزوة فلسطين مصلحة للطرفين وللأرض.

كانت أساليب من يسيطرون على الحركة الصهيونية فى فلسطين، عندما كنت موجودًا هناك، تهدف إلى الاتجاه المعاكس، وتسعى لجعل اليهود هدفًا للكراهية والعنف حين تظهر أى فرصة للعنف، وقد اتضح هذا فى التمرد الدموى الأخير فى يافا الذى أدى إلى إرسال سفينة حربية بريطانية إلى ذلك الميناء على وجه السرعة، وصدرت أوامر بمنع الهجرة والتنقل، وكانت توضح أنه ليست يافا وحدها بل البلد كله غير آمن وفى خطر. اليهود فى فلسطين الآن لا يحميهم إلا قوة السلاح البريطانى. وإذا ما انسحبت القوات البريطانية فإن غضب السكان الأصليين، أصحاب الأرض، كان سيبيد اليهود، وكان عدد المسلمين يفوق عدد اليهود بنسبة ١٠ إلى ١، وكانت البلاد المجاورة سوف تتعاطف وتقدم المساعدة إذا ما طلب منها ذلك. وكانت مصر والعراق تغليان بالاستياء ضد الحكم البريطانى وهياج القلق العرقى الدينى، وأن فلسطين لهم وللعرب، وهى مدينة مقدسة تحتوى على كثير من تراث الإسلام. الهند المسلمة تشعر أيضًا بهذه المشاعر، واضطر البريطانيون لسحب القوات الهندية المسلمة من فلسطين؛ لأنها لن تحارب إخوانها المسلمين».

***

إن المشكلة اليهودية فى هذا البلد (الولايات المتحدة) التى نواجهها هنا ليست نتيجة كراهية فطرية دينية. من الناحية الدينية والسياسية والاقتصادية كان لليهودى نفس الفرص الممنوحة لغيره. وكانت المشكلة اليهودية هنا فقط مسألة

تحيز اجتماعى ناتج عن المهمة الصعبة للاندماج بسرعة هائلة مع عدد سكان كبير مغاير فى العرق والثقافة والعادات والتقاليد. وكان فى ١٨٨٠م طبقًا لإحصائيات يهودية ٢٥٠ ألف يهودى فى هذا البلد، ويصل عدد اليهود الآن إلى ثلاثة ملايين وخمسمائة ألف نسمة، كتلة غير موزعة محتشدة فى بعض المدن الكبرى، وثلث هذا العدد فى نيويورك، وكان المجىء بهذه الأعداد الكبيرة فى ذلك الوقت القصير، فيجتمعون بقصد أو غير قصد، ويساعدون بعضهم البعض لمقاومة عملية الأمركة. وزاد هذا من التحيز والتحامل الاجتماعى. أولئك الذين لم يكن لديهم إدراك للتحيز سواء أكان دينيًا أم عرقيًا، كانوا فى خطر التشرب والامتصاص أو تطوير هذا التحيز كأسلوب لحماية مؤسساتهم وعاداتهم وتقاليدهم. إن الحركة الصهيونية بتطويرها المتعمد للإدراك والوعى العرقى لدى اليهود، الذى كان عقبة إضافية ضد مجهودات أولئك اليهود والمسيحيين الذين كانوا يسعون لإنهاء التحيز وجمع اليهودى والمسيحى فى إطار اعتراف مشترك بالقاعدة الذهبية: أن يعامل كل منهما الآخر مثلما يتمنى أن يُعامل به. ويقول أحد أعظم اليهود الإنجليز الذى يكرمه ويحترمه اليهود والمسيحيون على حد سواء، لمستواه التعليمى وإحسانه وأعماله الخيرية والإنسانية وورعه وتقواه، يقول عن هذه الصهيونية العرقية السياسية «**إنها حطمت قلبه وأصابته بالأسى والألم، ورجعت بعقارب الساعة لشعبه نحو مائة عام**».

ومن جانبه، يعبر المسيحى المحب لبلاده وإخوانه جيدًا عن مشاعر مشابهة.

(ديربورن إندبندنت، عدد ١٧ سبتمبر ١٩٢١م)